أعمال البر في شهر البر

تقديم

أناهيد بنت عيد السميري
غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنّة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله --عزَّ وجلَّ--، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مرحبا بكم جميعا أسأل الله عز وجل أن يجعله لقاء مباركا.

في يومنا هذا سنتكلم في هذه المناسبة المفرحة لكل مؤمن الذي كان يبشر النبي صلي وسلم بها أصحابه عن هذا الموضوع المهم وهو كيف نكون في رمضان؟ وسنبدأ بكلمة وننتهي بها أيضا إن شاء الله. وهي:

الـهـمـوم

هذا هو الموضوع الخطير هموم الإنسان.

نكاد نقول إن الفلاح والصلاح والنجاة في رمضان وفي كل موسم طاعة، بل في الحياة، ركيزته همومك، ومن الشواهد على ذلك كلام مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ رحمه الله يقول: «إِنَّ الْأَبْرَارَ تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ تَغْلِي قُلُوبُهُمْ

بِأَعْمَالِ الْفُجُورِ، وَاللَّهُ يَرَى هُمُومَكُمْ فَانْظُرُوا مَا هُمُومُكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ».

هذه المسألة تحتاج إلى كثير من المكاشفة سأقف عندها فترة من الزمن في النقاش فإذا انضبطت كل كلام نقوله بعد ذلك سيكون مركّب على ذلك.

الشق الأول من الكلام إِنَّ الْأَبْرَارَ تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ

وصفهم أبرار وقلوبهم تغلي بأعمال البر.

الطرف الثاني وصفهم وَإِنَّ الْفُجَّارَ تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْفُجُورِ

لما نريد تفسير (تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْفُجُورِ) وتفسري الأولى (تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ) لابد أن نعود لهذه الكلمة الهم أو الهموم، لأن الهم أو الهموم هي التي تكون في القلوب وتشغل الإنسان وهي التي توجه سلوكه والتي تجعله يهتم بالشيء أو يضعف اهتمامه بالشيء.

فمثلا من الأعمال المعروفة في شهر رمضان الناس يذهبون لصلاة التراويح، ما الذي يهمك في صلاة التراويح؟

في البداية لو جلسنا مع نفسنا وركزنا سنقول القبول، أني أكون خاشعة، ولو ضعف التركيز ما المهم؟ مثلا نقول لنفسنا نحن نهتم بصوت الإمام حتى نخشع ثم يتحول الموضوع لأمر آخر سيهمني مكاني في الصف وبعد ذلك يهمني الساعة كم أخرج من ينتهي قبل؟ إلى أن تعودي تشعري أن عندنا مشكلة في الهموم! قد يظهر أننا نقوم بعمل صحيح هذا الظاهر، حتى يكون عمل صحيح تماما لازم يكون القلب مهموم بهذا البر الذي في داخل العمل.

في أي موسم طاعة أنت مقبل عليه، بل في كل الحياة، كلمة واحدة يجب أن تشغلك وتحاول أن تصلحها وهي همومك، ما الذي تهتم به؟ ما الذي يسبب لك الهم؟ بماذا تهتم؟ هذا الكلام منضبط في كلام مالك بن دينار، الأبرار (نفوسهم بارة) قلوبهم مهمومة، تغلي بأعمال البر، وهذا بالضبط ما نشعر به لما نكون مهمومين، نغلي نريد أن ننهي الشيء. مهمومين بأعمال البر، في مقابلهم الطرف الثاني. معنى ذلك أن الأعمال لها صورة خارجية يشترك كل الناس فيها.

الصيام عمل كلنا نشترك فيه، أنت مهموم بماذا في الصيام؟ كلما كان قلبك يغلي بهذا الهم كلما اقتربت من البر. يمكن أن نقول -ونحن في الاسترخاء وعجلة الحياة ليست سريعة ونحن في راحة-: نريد من الصيام قبول رب العالمين، الله يقبلنا جميعا، هذا يجب أن يكون هم، ادفع الهموم التي تشغلنا عادة، واجعل تركيزك على هموم الأبرار، كلما زدت همًّا صحيحًا، كلما كان هذا العمل عمل بر وأنت تصبح من الأبرار.

خرجنا بنتيجة مهمة قبل أن نتكلم عن أي عمل من أعمال البر:

أن أبواب البر كثيرة والناس يشتركون فيها؛ المؤمن والمنافق يشتركون فيها كما في سورة الحديد: {أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ...} يكونوا معا في الصلاة والصيام لكن ما الفارق؟ الهموم!

تقول أنا في نفسي أن يقبلني ربي، وهو مطلب لي، لكن الحياة تسرقني، اليوم الرمضاني يسرقنا في كذا، نريد أن ننام، نريد أن نطعم الجماعة.. هذا ما يجعل الإنسان يتشتت. لما يهمنا أي شأن من الشؤون الدنيوية، هل تعذر نفسك في

أن تقصر في أهل بيتك وأن تقوم بكل مهامك؟ بل تقوم بمهامك وأنت مهموم بهذا الهم، وتجد أن الأمور تسير دون زيادة تأثير فيها لأنك مهموم بأمر آخر، وهذا ما نريده.

سيسير يومك الرمضاني كما ينبغي من القيام بالواجبات، لكن الهم يجب أن يكون صحيحا. نتفق أن ما يتعبنا في الحياة تشتت الهموم، هذا ما يتعب الجميع.

مثلا يأتي طالب في مدرسة لا ينجز، ثم يعملون له اختبارات يجدونه متشتت لذا لا ينجز في أمور الدنيا (لا يركز مع المعلم)، أهم من ذلك أن من همومه مشتتة، لا ينجز الإنجاز الحقيقي الذي يود أن يكون في ميزانه.

هذه النقطة كأنها جوهر الموضوع؛ أن تعرف أن قلبك يجب أن يغلي بأعمال البر، تكون هي همك، هي ما يشغلك، هي المقصد الذي تريد أن تصل له، هي التي تتراءى أمام عينيك دائما، تختفي التفاصيل وتبقى الهموم هي العظيمة في نفسك. وانظر لو شغلت نفسك من أول اليوم إلى آخره بهمّ القبول، مشغول أن يقبلك ربك، والله إننا ستخرج بزيادة إيمان عظيمة! لأن الإنسان سيبقى يناجي ربه بالقبول، ويركز في الإخلاص، وسيبقى مشغولا عن الخلق، وسيختار

أوضاع وأحوال وأقوال يقبلها رب العالمين، وسيفكر هل هذا وقته أن أنشغل بهذا وأنت همك أن يقبلك رب العالمين، هل هذه مشاعر الإنسان الذي يريد أن يقبله ربه؟

هذه فرصتنا لتوحيد الهموم، هذا التوحيد هو بالضبط توحيد الألوهية، لأنك في توحيد الألوهية تؤله الله، تعظمه، وتنشغل برضاه، وهذا هو المطلوب؛ أن تجعل همك واحدا، وتنشغل برضاه سبحانه وتعالى.

سنكرر هذا الكلام لأنه جوهر المناقشة، كل ما سنقوله بعد ذلك نعرفه وسبق النقاش فيه، لكن الكلمة المهمة أن أكثر ما يضيعنا في مثل هذا الموسم المبارك تشتت الهموم، لا تشتت همومك، ركز على هم أن يقبلك ربنا ويرضى عنك، هم رضا رب العالمين وهم قبول رب العالمين، هذا إذا اجتمع القلب عليه سيكون بعد ذلك كما ذكر مالك ابن دينار، الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر لأنهم مهمومين بها، هي التي تشغلهم، يارب اقبلني، ارض عني، تقبل مني يا رب، اجعله في ميزاني لما ألقاك، كل ما نعرفه من النصوص يجب أن تصب كلها في الهموم.

سنمر سريعا على أعمال البر في شهر البر فهي أمور معروفة، لكن نريد أن نصل إلى أن تكون نفوسنا مهمومة بالبر.

معنى البِرِّ لغةً واصطلاحًا:

مفردة "البِرِّ" في معاجم اللغة تحمل الكثير من المعاني، خلاصتُها: معنيان اثنان هما:

الأوَّل: الصدق.

الثاني: الإحسان.

وسنتصور أن الهموم داخلة في الموضوع من الصدق لأن الصادق سيفكر، بماذا أنت مشغول، وكما ذكرنا أن المنافق والمؤمن يشتركان في العمال الظاهرة، المنافق الأكبر يصوم ويصلي ويختم القرآن مع المسلمين، {أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ...}.

معنى ذلك أن الإنسان إذا كان صادقا سيفحص همه، ما الذي يشغلك في هذا الموقف. مثلا تبذل جهدك في تحفيظ أبنائك القرآن، ويسأله أحد ما الآية في سورة كذا؟ وينسى فتغضب منه وتقول تظهر أمام الناس كأنك لست حافظ؟ هذا الموقف يحصل حتى تراجع نفسك وتقول لم أحفظه ليكون

حافظا ولو أثنوا عليه لن تكون زيادة علي، المهم أن يكون عند رب العالمين ذا منزلة.

لا يتركنا رب العالمين نغش أنفسنا، لا بد أن يأتي موقف بعد موقف يبين ما همك، لأننا كلنا يمكن أن نخرج ونقول همي إن شاء الله رضا رب العالمين، لا يتركنا رب العالمين، ننكشف لنفسنا لا لنحبط، بل لنعيد حساباتنا ونصدق مع أنفسنا ونصلح أنفسنا، لذا نجد أن كلمة تزكية النفس مهمة لأن هذه الهموم تمثل تزكية النفس.

معنى البِرِّ اصطلاحًا:

- **قال المناوي: "البِرُّ بالكسر أي: التوسُّع في فعل الخير، والفعل المرضِي، الذي هو في تزكية النَّفس... يقال: بَرَّ العبدُ ربَّه. أي: توسَّع في طاعته... وبِرُّ الوالد: التَّوسع في الإحسان إليه، وتحرِّي محابِّه، وتوقِّي مكارهِه، والرِّفقُ به، وضدُّه: العقوق. ويستعمل البِرُّ في الصِّدق؛ لكونه بعض الخير المتوسَّع فيه".**
- **قال القاضي المهدي: "والبِرُّ: هو الصِلة، وإسداء المعروف، والمبالغة في الإحسان".**

- **قال ابن دقيق العيد: "أمَّا البِرُّ فهو الَّذي يُبِرُّ فاعلَه، ويلحقه بالأبرار، وهم المطيعون لله عزَّ وجلَّ".**

يضيف لنا معنى البر في الاصطلاح كلمة التوسّع، البرّ أصلها من البَر الواسع، معنى ذلك أن الإنسان يتوسع في فعل الخيرات، والفعل المرضي الذي هو في تزكية النفس، معنى هذا أن الهموم التي تشغل بها، وهي مشكلة المشاكل، لما تصلحها كأنك تزكي نفسك، ما الذي يشغلك؟ ما الذي تريده من وراء هذه الأعمال؟ يجب أن يكون هذا سؤال متكرر لا تغفل عنه أبدا، هذا سيؤدي في النهاية كأنك ترى نفسك في مرآة فتظهر العيوب فتقوم بتزكيتها وتنظيفها.

لما تدخل هذا الشهر المبارك، سيكون التركيز على النفس، نختصر تزكية النفس بقول: أصلح همومك، انظر إلى مشاغلك، لا تتشتت في المشاغل في الحياة، لا تشتت في الهموم، لا تشتت فيمن تريد إرضاءه، لا تتشتت في الأمور التي تريد أن تجملها وتصلحها.

لتوضيح تزكية النفس: كلنا نطلب الجمال ونحب أن نرى في أحسن حال، هذا لا تلام عليه، وهذا حاصل في نفسك وربنا خلقك تحب الجمال وتحب أن يراك الناس في أحسن

حال، لتنتقل من هذا الهم إلى هم أعظم وهو أن يراك الله في أحسن حال: أن تتجمل النفس لرب العالمين، وهنا تظهر العلاقة بين الهموم وبين تزكية النفس، أين مكان البر؟ تتوسع في هذه التزكية وفي التفكير وفي الإصلاح النفسي.

لذلك لما نزلت أواخر آل عمران {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} قال "ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها"، هذا إشارة إلى أن التفكير فريضة إسلامية، في خلق السماوات والأرض وفي أنفسنا.

صارت عندنا ثلاث كلمات:

1- **همومك** التي من المفترض أن تحصل لها عملية الإصلاح.

2- لما تصلح هذه الهموم كأنك تصلح النفس، وهي **التزكية**.

3- أن **البر** أن تسير في هذا الطريق وتتوسع ولا تكون محصورا ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

أين مكان فريضة التفكر؟ كل ما نهتم به في الحياة ما جعله الله أمر مهم عندنا إلا لنفكر فيه ثم ننتقل إلى همومنا مع رب

العالمين، مثل مسألة أن الإنسان يحب أن يكون متجمل، مثله أن يصبح همك أن تتجمل لرب العالمين لما ينظر إليك.

ومثله أن الإنسان يحب أن يكون له أرصدة لا يحب أن يكون فقيرا، وهذا ليس مذموم شرعا فنحن نستعيذ من الفقر، لماذا تهتم ألا تكون فقيرا؟ لأن الفقر يفعل كذا وكذا، نفس هذا الشعور تجاه الريالات والدينار، يجب أن يكون نفسه أنه سيقبل على الله بلا دينار ولا درهم إنما الرصيد بالحسنات! فيكون هذا الهم شاغلك، همك أن يكون لك حسنات عند رب العالمين مقبولة، وهذا لا يعني أني أعدّ حسناتي قدر ما يكون الاهتمام بصحة القلب ليعاملنا ربنا باسمه الغفور الشكور، فيغفر الخطأ والتقصير ويشكر القليل من العلم وهذا كله بعد القبول.

المسائل متسلسلة؛ سأنشغل بالقبول، والانشغال بالقبول نتيجة الانشغال أن يكون عندي رصيد من الحسنات، الإنسان يكره الفقر، والشريعة لا تقول لك أحب الفقر، لكن ما جعل الله الإنسان يكره الفقر إلا لينقل هذه المشاعر للمشاعر الأهم، وهي أنك تكره أن تجد رب العالمين وأنت مفلس، لا أحد يحب أن يكون مفلس، وهنا الموضوع ليس موضوع المال

الذي فيه أن تستثمر أو ترث ثم تحافظ عليه وتزيد في استثماره. موضوع الحسنات يدور حول أن تعمل وتطلب القبول.

مررنا على ثلاث كلمات غاية في الأهمية: وهي الهموم وتزكية النفس والبر، أفكر في همومي وأعالجها، مثلا اليوم تعقدت المسألة وما قبلوا أن يأخذوك للمسجد أو شغلوك، ستقول لن أجعل همي أن أذهب أو لا أذهب، بل همي أن أصلي صلاة خاشعة مقبولة، ارزقني يا رب أن أصلي صلاة خاشعة مقبولة، لكن كلما نسينا لماذا نفعل هذه الأشياء يصبح الشاغل إن شاء الله أجد مكان بقرب المكيف ولا أجد هذا أو هذا، يصبح هذا هو الهم وليس أن يقبلنا رب العالمين! نتشتت حتى ينسى الناس لماذا هم يذهبون، نسي الناس ما الذي أتى بهم إلى هذا المسجد أو الحرم..

ربنا ما جعل الحياة بهذه الهيئة وهذ الصفات، ما جعل الإنسان ينشغل بهذه الأمور إلا ليقدّر الواقع الذي تحت يديه بالغيب الذي عند رب العالمين، وتأتي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تلفت النظر، من المفلس؟ فتفكر بهذه الطريقة، ما يقال صيري فقيرة أو مفلسة، بل يقال لك أعط منه جزء بسيط في

الدنيا وأنت مطمئن أنه لن يذهب من رزقك شيء، في مقابل ذلك اجعل الهم الأكبر لما تقابل رب العالمين.

نجعل رمضان فرصة لتعديل الهموم. من أهم عناصر تزكية النفس، هو ما يشغلك، كلما حولت ما يشغلك إلى طريق الله، كان في ميزان الحسنات.

مثلا نحن نهتم بإنجاز أعمالنا المنزلية من أجل أن نقرأ القرآن، لما يأتيك هذا الهم الدنيوي حوله إلى هم يقربك إلى رب العالمين، إطعامهم وسقياهم في ميزان حسناتك، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله والاستعانة بالله، ستجعل هذا الهم أبسط ما يكون، حتى الهموم في الدنيا باب من أبواب الوصول إلى رب العالمين.

الكلمة الواضحة هي كلمة التوسع، إذا أردنا أن نزكي أنفسنا ونعالج همومنا كل مرة نقوم بعملية التوسع في الطاعات والإصلاح

وأكثر ما تتوسع فيه في طاعة الله **التفكير**

لو أصلح التفكير الذي هو مدار الهموم لصلح كل شيء تبعا له، الناس يختلفون عن بعض على حسب تفكيرهم ونظرتهم للأمور، لذا "ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها"، وهذا

إشارة إلى أن فضيلة كبيرة عظيمة غائبة، التفكير لا يأخذ الجزء الأكبر من حياتنا في التقرب على الله، فالتفكير يضيع مع الهموم، وأنت عليك أن تجمعه وتخلي الهموم منه (التزكية، التطهير).

اشعر أنه لا يصح أن أضيع وقتي في التفكير في هذه الأشياء التافهة، بهذا أنا أضيع مادة أساسية يمكن أن أتقرب بها إلى الله، ما يجول في القلب ليس لعبة! القلب مكان نظر الرب! لذا يجب أن نتوسع في طرد الأفكار التي تشغلنا عن الله، ونوسع التفكير فيما يقربنا على الله، ولا شيء يمر عليك في الحياة لعبة، ولا شيء يمر عليك في أقدراك عبثا، هذا تقدير العزيز الحكيم، يأتيك هذا لتفكر بهذه الطريقة، يأتيك هذا لتطرد الهم، يأتيك هذا لتقول ربنا قريب، واسع، رحيم فتعرف رب العالمين.

كلمة البر تكررت في القرآن، ووردت في السنة.

نصل على شيء مهم وهو الكلام عن هذا الاسم العظيم من أسماء رب العالمين.

ورود هذا الاسم في القرآن:

ورد في القرآن الكريم في موضع واحد، وهو قوله تعالى: (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) [الطور: 28]

يقوله أهل الجنة، بعد دخول الجنة، يصفون ماذا كانوا يفعلون في الدنيا وما الذي نجاهم من عذاب السموم، نلاحظ كل هذه المؤكدات؛ أولا إن، ثم الضمير، وهو ضمير الفصل الدال على الاختصاص، وألف لام في البر دال على الاستغراق، بمعنى أن الكمال في البر لله عز وجل، و(هو) دليل على أنه لا أحد يشاركه، كأننا نقول تأكد، تأكد، تأكد أنه لا أحد يشارك الله في هذا الوصف.

سنرى هذا الوصف ونرى أثره على همومنا، نريد أن نتوسع أن تكون همومنا لرب العالمين.

ومعناه: أي: الذي شمل الكائنات بأسرها ببره ومنِّه وعطائه، فهو مولى النعم، واسع العطاء، دائم الإحسان، لم يزل ولا يزال بالبر والعطاء موصوفاً، وبالمنِّ والإحسان معروفاً، تفضل على العباد بالنعم السابغة، والعطايا المتتابعة، والآلاء المتنوعة، ليس لجوده وبره وكرمه مقدار، فهو سبحانه ذو الكرم الواسع والنوال المتتابع، والعطاء المدرار.

ذكرنا أن البَرّ والبِرّ من السعة، هذا المعنى الأساسي لمعنى البر، لما نتكلم عن رب العالمين نتكلم عن سعة بره، تتمثل في ماذا؟ في العطاء أولا، تسمع عن رب العالمين أنه بر بعباده وتقابل ذلك بأن تكون من الأبرار، هو وسّع عليك في العطايا فأنت توسع في الشكر، هذا العمل يقابل هذا العمل.

يكفينا هذا والباقي سيكون على قياسه، لما تعالج مسألة تزكية النفس ثم تتوسع في البر، خذ مسألة الشكر وفكر فيها، ستشكر على النعماء، أول خطوة ستبدأ بعدّها، وآخر خطوة ستكون العجز عن ذلك. يجب أن توسع دائرة الشكر، وستعجز في النهاية عن عدها، وهذا ما يزكي نفسك، أن تذكر نفسك الغافلة أن هذه نعمة، وهذه نعمة، وهذه نعمة... إلى أن تصل لمشاعر العجز وتتوقف، ومرة ثانية تعبد الله بعبادة الشكر وتتوسع فيها في جلسة أخرى، فتتذكر كذا وكذا، حتى المصاب الذي نزل علي نزل في توقيت مناسب وبصورة مناسبة وعالج هذه المشكلة وتلك، ثم تصل إلى العجز، وفي جلسة أخرى تتوسع في شكر نعمائه بذكر كذا وبذكر كذا. ولو لم تتوسع في الشكر ستتوسع في الكفر! {إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} كل ما لا تدخله في دائرة الشكر وتتذكر أنه مشكور سيدخل في دائرة الكفر مباشرة. وهذا ختام

فهمك لمسألة التزكية لأن النفس تفسد لما تكفر النعماء، ستعترض ولن تقبل وتجزع وتذم.

اسم البر شمل الكائنات كلها بأسرها ببره ومنّه وعطائه، سيقابل هذا منك بر لتكون من الأبرار فتشكر، تشكر مع كلمة البر يعني تتوسع في الشكر، ويجب أن تعرف أن كل ما لا يدخل في دائرة الشكر يدخل في دائرة الكفر ولا شيء ثالث، قال رب العالمين: {إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}.

من توسع في دائرة الشكر كما من لم يتوسع في دائرة الشكر؟ لا، لذا الجنة درجات، مبينة على البر، الذي هو التوسع. أنت تشكر وتتوسع في الشكر، تريد أن تكون من الأبرار يجب أن تتوسع في كل أمر وفي كل قربى، وستلحظ أنك كلما توسعت في طاعة كلما زادت تزكية النفس وتطهيرها.

وهنا دائما البدايات بالعبادات القلبية قبل العبادات البدنية، قبل أن نقول زد قياما وزد قراءة للقرآن، هناك أشياء سابقة لتزكي نفسك ومنها الشكر، التي هي من أوصاف أهل الإيمان، في سورة الإنسان ربنا يبين الهدف والغاية من خلق الإنسان وابتلاء الإنسان بأحد اثنين؛ {إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}.

بره سبحانه وتعالى بعباده نوعان:

1- العام: وسِعَ الخلق كلهم، فما من شخص إلا وسعه منّ الله تعالى وفاض عليه إحسانه.

كل الناس.

2- الخاص: هو هدايته من شاء منهم لهذا الدين القويم، وتوفقيهم لطاعة رب العالمين، ونيل ما يترتب على ذلك من السعادة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) [الانفطار: 13]، أي: في دورهم الثلاثة: في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة.

هنا ستظهر لنا عبادة جديدة سنتوسع فيها أمام اسمه البر عز وجل، البر الخاص، ما هي هذه العبادة بالإضافة إلى الشكر؟ أولا معناها أنك ستوسع دائرة الشكر، الناس يعدون؛ أكلوا، شربوا، ناموا، قاموا، سكنوا، لكن أنت ستبدأ بعلمنا التوحيد وعرفنا القرآن، وكذا، ستتوسع عبادة الشكر باختلاف عن غيرك، ستعيد كل مرة على نفسك لما تقرأ الآيات وتفهمها وترى الناس الذين لا يقفون عند الآيات ولا يفهمونها، هذا الشعور الذي يتبعه شكر نوع توسع في شكر النعماء. ربنا البر وسع علينا في عطاياه، وأعطانا عطاء

خاص مختلف عن الخلق كلهم وهو الهداية وما يتبعها من تفاصيل، أمامها سنشكر رب العالمين لكن هناك عبادة أخرى يجب أن نتوسع فيها، وهي عبادة الاستهداء.

ربنا وسع علينا وهدانا، نحن نزيد في طلب الهداية، نزيد في الاستهداء.

لما كان الإنسان في غفلة عن شأنه يأخذ قراراته من رأسه، وأقصى حد أن يستشير أحد عنده خبرة، ثم هداه الله إلى الصراط المستقيم، فتحسن قليلا فصار في الأمور المهمة جدا أن يستخير، ثم ربنا هداه أكثر صار يقول في الأمور الأقل منها يقول يا رب اهدني، يتوقع، فكلما زادت منة الهداية كلما طلبت الاستهداء، تتوسع إلى أن تصل إلى نتيجة أنك تقول أي قرار، أي فكرة، أي خطوة إلى أن ترى بر الله بك أن كان الله عز وجل لك نعم الهادي فكيف تستغني عن طلب هداه! فتتوسع في هذا الباب.

هذا في رمضان أمر مهم جدا، بل في الحياة كلها، لكن في رمضان لأننا دائما في مفرق طريق والوقت ضيق والأمور متداخلة وكلها تحتاج إلى استهداء، كلما توسع في ذهنك شعورك ببر الله لك أن هداك، توسع في المقابل عبادة

الاستهداء، إلى درجة أن تصل لمشاعر أن الخطوة التي خطوتها ولم أستهد الله بها أخشى أن تجني علي، أنت ذقت طعم الاستهداء، لما تتركه يعيدك له رب العالمين، أو يشعرك أن هذا خطأ، كيف عملت في الهداية واستخرت ثم تأتي أمور تنسى أن تستهدي رب العالمين، وكلما زادت وتيرة الحياة سرعة -وهذا من الأزمات التي يعيشها الناس- كلما ضعف الاستهداء، أصبح الناس يأخذون قراراتهم بنفسهم.

الله عز وجل هو البر منّ علينا بالمنن العظيمة، وأمامها سنتوسع في الشكر، ثم برّنا رب العالمين بأمر مختلف عن غيرنا، بنعمة عظيمة خاصة وهي الهداية، هو بدأك بالهداية فأنت تتوسع في الاستهداء وفي طلب الهداية وفي الشعور أن الهداية نعمة عظيمة، وتدور حولها.

الآية ماذا تعني في اسم الله البر؟ المعنى العام أو المعنى الخاص؟ أكيد أن المعنى العام موجود، لما قالوا {إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} برهم بماذا؟ بالهداية فهم يدعونه ويرجونه ويسألونه ألا نريد أن نضيع، وهنا سنعود

للهموم، متى ستطلب الهداية؟ يجب أن نطلبها في كل أمر وكل شأن، لكن نطلبها لما نكون خائفين من الضياع.

مثال دنيوي: متى تفتح الجهاز الذي سيرشدك للمكان؟ لما لا تعرف المكان وتخاف أن تضيع، ولا شيء يخافه الناس أكثر من الضياع.

متى نطلب الهداية بكل لتفاصيلها وفي كل أمور حياتي؟ لما أكون مهمومة خائفة من الضياع، ليس مثل الأجهزة؛ لما تكون نعرف المكان تستغني على الجهاز! المفروض في كل خطوة تخطوها يكون همك ألا تكون قدمك في مكان خطأ.

مثلا صحبة من زمن وافترقنا، يقولون تعالوا نتقابل، ترى أن هذه ليست بحاجة إلى استهداء، والحقيقة أنك بعد أن تكون قد سرت مشوار طويل في حياتك للتعديل والتزكية فتفاجأ من نفسك أنك مِلْت! والسبب أن هذه الصحبة ذكروك وذهبت، بخطوة واحدة، فلتة واحدة!

فالمقصود من هذا الكلام أنه هو البر سبحانه وتعالى، الذي منّ على عباده بالهداية، وسّع عليه بالمنن العظيمة ووسّع عليهم في باب الهداية، من الذي يتوسّع له في باب الهداية؟

الذي توسّع في طلب الهداية، هو بر وسع لك في باب الهداية، وأنت من الأبرار ستتوسع في طلب الهداية.

وهذا الموضوع بالذات في هذا الشهر المبارك، سيكون من أهم الأمور التي نطلبها:

نريد أن نخرج من هذا الشهر وأعظم مخوف لنا الضلال عن الطريق

ولو لم يكن هذا أعظم ما يخيفنا لم يكن في الفاتحة هو المطلب. نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أخذنا ثلاث كلمات؛ الهموم وهي نقطة الانطلاق، ثم تزكية النفس وهي من معاني البر، ثم البر الذي هو بمعنى التوسع، إذا ضبطت همومي وناقشتها وفكرت فيها وأعطيتها الوقت الصحيح لأعالجها، والأمور المنخفضة التي لا قيمة لها أحملها وأنزعها وأرميها في الخارج، والأمور التي لها قيمة من الدنيا وأحاول أن أحتسبها وتكون قربى لي، وأجعل همومي في المكان الصحيح، هذا كله تزكية النفس، وكلما توسعت في هموم الآخرة سأتوسع في البر أمامه، سأتوسع في أعمال الخير.

وأضفنا على هذا الكلام اسم البر، وعرفنا أن المؤمنين في جنات النعيم أخبروا أن ما نفعهم أنهم كانوا يدعونه سبحانه وتعالى، وهم معتقدين أنه البر، صاحب الفضل عليهم، تفضّل عليهم كما تفضّل على غيرهم بالدنيا وأهم من ذلك أن تفضّل عليهم بالهداية، فكانت هذه الهداية هي مطلبهم ومقصودهم وهي التي توسّعوا في سؤالها.

نريد أن نتوسّع في سؤال الهداية، أنت تقرأها مثل بقية الخلق كلهم في الفاتحة، توسّع في استحضار نفسك وقتما تقرأها ثم توسّع في كل شأنك في طلب الهداية.

سنرى شيء من صور بره عز وجل بعباده، وهذا ما سنعتقده ونحن مقبلين على هذا الشهر المبارك ونحن مقبلين على أعمال يمكن أن يكون فيها استقطاع لوقت طويل وفيها جهد من الإنسان.

من صور برّه عز وجل:

أنه تبارك وتعالى يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر،

فلا تتصور أن منعنا من الطعام، أو أمرنا بالقيام، أو حضنا على تلاوة القرآن إرادة عسر أبدا، إنما إرادة يسر، أين العسر وهناك أعمال قد تكون شديدة على بعض الناس؟

نرى مقصد عظيم من مقاصد الصيام تعرف به اليسر، المقصود من الصيام أن تكشف نفسك وتعرف قدرتك على ذاتك وتعرف أنك متمكّن من نفسك، هذا المقصد الأساسي للصيام.

مثلا لما يؤذن الفجر ونحن مؤمنين متقين وتربينا على الصيام ونعرف رب العالمين، هل تستطيع أنفسنا أن توسوس لنا ولو بحرف أن نشرب ماء، إلى أذان المغرب نفسك لا تستطيع أن تقول لك ولا كلمة، أنت تمكنت منها خصوصا في موضوع الصيام، وساعد على هذا أن يكون الإنسان غُرس هذا في نفسه مبكرا، وأن يكون هناك تعظيم في نفسه لرب العالمين، ويكون هناك أجواء خاصة لهذا الشهر المجتمع يحافظ عليها، أجواء إيمانية فتعطي تعظيم لهذا الشهر، لذلك قد ترى أناس يمكن ألا يصلوا لكن يصوموا، والسبب في ذلك إحساس عظيم بعظمة الشهر، فأنت في الشهر تعرف أنك متمكن من نفسك وتستطيع إسكاتها ولا تتجرأ تقول لك شيء.

خُذ الأمور على نفس المحمل، أسكنتها ولا تنم عن صلاة الفجر أو العصر فتطلع الملائكة تقول تركناهم نائمين! لا تقل

لا أستطيع، ها هي نفسك ما استطاعت أن توسوس لك ولو بكلمة لأنك ضبطتها وأدبتها، تصور أن الله يريد بكم اليسر، يريد أن يكشف لك حقيقة أنت غافل عنها، أنت غافل عن نفسك وغافل عن تمكّنك من نفسك، فتأتي أفكار، خصوصا وأننا نجد أنفسنا مع الواقع الذي نعيشه، الوساوس والمخاوف أشكال وألوان، تجعل الناس إذا كانوا يريدون أن ينفقوا يمسكون وإذا أرادوا أن يعبدوا يتركون، وإذا أرادوا أن يتقدموا في شيء ينفع الناس في ديناهم يقولون الناس غير شاكرين! وساوس أهلكت النفوس، لكن أنت في الصيام لم تستطع نفسك ان تقول افطر، والسبب تمكنك منها، ما الذي جعلك متمكن من نفسك لا تقول لك نفسك هذا الأمر؟ ما جعلك أنك معظم للشهر وخائف، وبقية الأمور كذا، لو قيل ليس سهل؟ نقول ابذل جهدك ما استطعت إلى أن تنخفض مستويات تمكن النفس منك، وترتفع مستويات تمكنك من النفس.

هذا يريد الله بكم اليسر، لما تكون عندك ملكة عظيمة تملكها والناس من الخارج يقولون تستطيع وأنت تقول جربت وما استطعت، ويأتي ظرف من الظروف يكشف لك أنك تستطيع، أليس هذا إرادة يُسر بك، أن تنكشف لك قدرتك

على هذا الأمر؟ بنفس الطريقة، انظر لكل الشرع، يريد الله بنا اليسر.

الصلاة تتكرر عليك في اليوم خمس مرات، يريد الله بك اليسر، يريد بك أن تكون عبدا لله، أنت صاحب حاجة الليل والنهار، بل على قدر أنفاسنا نحن أصحاب حاجة، فرب العالمين يفتح لك خمس مرات الباب، تعال واطلب وسل. ومن الأمور الملفتة عدد ركعات الصلاة، فتصور الفجر ركعتين لكن السنة فيه إطالة القراءة، هذا الفجر الجميل الذي يكون فيه إطالة القراءة حتى أن أسماء تقول حفظت سورة يوسف من عثمان يقرأها كاملة في الفجر، هي ركعتين لكن إطالة القراءة تعني أن هذا الفؤاد أول ما يستقبل من يومه هذا الكلام العظيم، وإن كانت ركعتين لكن أطل في الصلاة، ولما تدخل معركة الحياة صلِّ أربع ركعات وصل قبلها اثنين واثنين وبعدها اثنين، لأنك بالكاد تخرج من الأزمة، وهنا لا يقال لك أطل القراءة، إنما تقرأ من قصار السور، المفصل. ومثلها العصر، ويأتي المغرب وتر اليوم، ويأتي العشاء وقت الهدوء وتكون هذه أربع ركعات همومك غدا كلها الآن قلها في العشاء واشتك لرب العالمين، وكل ما آلمك أغلق أبوابه، ومن يفتح له في القيام يدخل جنة الدنيا، كل هذا لئلا تكون

عبدا ذليلا للخلق، من آذاك اشتكه، ومن لك عنده مطلب أو حاجة؛ اطلبها من رب العالمين، ماذا تريد أن تخطط أو تفعل اسأل الله أن يبارك لك فيه، مقدم على ماذا، ما يكون أسأل الله. تصور لو أغلقت الأبواب! اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله.

يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر أبدا، أبدا، وهذا الشرع الكريم ليست هذه الكلمتين التي يكن أن تبين عظمته وجماله، لكن يجب أن نتفكر ونتأمل، التفكير فريضة إسلامية، فكر كيف منّ الله عز وجل علينا بهذه النعم، ومن الاستهداء اطلب الله أن يهديك لهذه الحقائق الإيمانية، حتى يزيد القلب تذوقا لهذه النعم ويصبح الشكر أوسع وأوسع. علينا أن نحمد ربنا على أننا نصلي خمس فروض، علينا أن نحمد ربنا أننا نتنفل بالسنن، علينا أن نحمد ربنا على نزوله سبحانه وتعالى نزولا يليق بجلاله في الثلث الأخير من الليل، علينا أن نحمد ربنا على ذلك، وإلا لمن نشتكي؟ من نسأل؟ باب من سنطرق؟ مالك الملك سبحانه وتعالى.

فمِن برِّه بهم أنه تبارك وتعالى، وهذا ما يجعلنا نتوسع في الأعمال، يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر،

يتقبل منهم القليل من العمل، ويثيب عليه الثواب الكثير، ويعفو عن كثير من سيئاتهم،

هذا يجعلنا نتوسع في الأعمال ولو كانت قليلة، توسع لأن من أسمائه أنه البر، ومن آثار بره أنه يتقبل العمل القليل ويثيب به الثواب الكثير، سبحانه وتعالى.

من بره بعباده

ولا يؤاخذهم بجميع جناياتهم، ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها،

كل هذا يجعلنا نطمع في رب العالمين، أنت ترى ربنا كيف يوسع لك في الحسنات وأنت توسع في الطاعات.

ويضاعف لمن يشاء، ولا يجزي بالسيئة إلا مثلها، ويكتب لهم الهمّ بالحسنة، ولا يكتب عليهم الهمّ بالسيئة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، ومن هم بحسنة فعملها كُتبت له عشراً إلى سبعمائة ضعف، ومن هم بسيئةٍ فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كُتبت" رواه مسلم.

ومن برِّه عز وجل بعباده

ومن برِّه بعباده فتحه أبواب الإنابة والتوبة والأوبة إليه مهما كثرت الذنوب وتعددت الآثام، قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: 53]

هذا الأمر المهم الذي نستفتح به هذا الشهر العظيم وهو فتحه أبواب الإنابة والتوبة والأوبة إليه مهما كثرت الذنوب وتعددت الآثام، وهذا شيء عظيم من بره عز وجل بنا، لأن الإنسان يصل على حد أن ييأس من نفسه، يصل على حد أن الشيطان يشعره أنك مغضوب عليك، فلما يتذكر الإنسان هذه الحقيقة المهمة، وهي بره عز وجل بعباده، في أنه يفتح أبواب التوبة والإنابة يدفع هذا اليأس، لذلك لنتأمل هذه الآية، ما الكلمة التي تلفتك في هذه الآية العظيمة؟

قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣]. أولا نداؤه يا عبادي، ليطرد عنا الشيطان، فيخصنا بإضافة التشريف، ثم أتت صفة لهم، أضيفوا إلى الله، وءكانت صفتهم أنهم أسرفوا على أنفسهم،

ونلحظ أن اسم الموصوف الذين كأنه صفة مشهورة عنهم، اسم الموصول لما يأتي في صفة، مثلا الذين كفروا اشتهر عنهم الكفر، الذين آمنوا اشتهر عنهم الإيمان، الذين أسرفوا على أنفسهم اشتهر عنهم، هؤلاء لم يخبؤوا ذنوبهم إنما حصل الإشهار، فصاروا معروفين، ولك أن تتصور أسرفوا بكل المعاني، مثل لما جاء الرجل على النبي ﷺ، ومن تقدمه في العمر أن حاجبيه قد سقطا على عينيه، أتى إلى النبي ﷺ وهو يتكئ، وأخبر النبي ﷺ أنه ما ترك شيء إلا فعله، كل ما تتصوره فعله، وهو أصلا في آخر العمر. هذا الجزء من الحديث في كونه متأخر في العمر يجب أن يلفت نظرك، لو كان شابا أو حتى متوسطا في العمر نقول بقية الأيام يتدارك ما فاته، لكن هذا لكبر سنه قد سقط حاجبيه على عينيه، وقال للنبي ﷺ في وصف هذا العمل الذي فعله أنه ما ترك كذا وكذا، ثم أتته البشرى أن رب العالمين يغفرها جميعا، ما يبقي منها شيئا! بل سيتبين لنا أنه ليس فقط المغفرة وإنما شيء زائد على المغفرة.

{أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} فما المطلوب منكم؟ {لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} يناديهم رب العالمين مباشرة إلى الرحمة ويصف

نفسه أنه {يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً}، فلا يوسوس لك الشيطان بل كما سيتبين أن

من عظيم برِّه بعباده أنه سبحانه -مع كمال غناه- يفرح بتوبة التائبين وإنابة المنيبين،

ولهذا الفرح شأن لاي نبغي للعبد إهماله والإعراض عنه، هذه العبادة أنت منتفع بها غاية الانتفاع والله عز وجل، يفرح بالعبد التائب، فلا تهمل هذا الوصف له ولا تنس هذا البر منه سبحانه وتعالى لعباده.

نفترض أن الإنسان ما تاب وذهب إلى ربنا ماذا سيجد؟ أنه لما يصل يوم القيامة وهو مؤمن لا يفضحه رب العالمين، "إنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيَقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذا؟ أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذا؟ فيَقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حتّى إذا قَرَّرَهُ بذُنُوبِهِ، ورَأى في نَفْسِهِ أنَّه هَلَكَ، قالَ: سَتَرْتُها عَلَيْكَ في الدُّنْيا، وأَنا أغْفِرُها لكَ اليَومَ، فيُعْطى كِتابَ حَسَناتِهِ" فهذا بر عظيم من رب العالمين بعباده، وهذا يجعلنا في حال من الطمع الشديد برحمته سبحانه وتعالى.

نعود مرة أخرى ونختم اللقاء بالذي بدأناه..

لنسير في الطريق المستقيم ويكون برنا برا حقيقيا يجب أن نراجع **همومنا**، هل نحن عند الله مذكورين بالتوبة؟ هل نحن مذكورين بأننا ذاكرين؟ هل نحن عند رب العالمين مرضي عنا في السماء؟ في هذه الساعة أنا من عند رب العالمين؟ يجب أن نراجع همومنا، لأن طبع الإنسان إذا اجتمع بمجمع الخلق يهتم من هو عندهم، وإذا تأخروا ما اهتموا به يقول ألا تسألوا عني؟ لأن من طبعنا نهتم بمكانتنا من نحن عند هؤلاء، وكل أهل الأرض أصلا غافلين عنك، وستأتي اللحظة التي تذهل فيها المرضعة عما ترضع، فهم ليسوا مهمين، فاجعل همك من تكون في هذه الساعة عند رب العالمين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتبنا من الأبرار جميعا، وأن يقبلنا في هذا الشهر المبارك ويختم لنا جميعا بخير، اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.